الباب الثانى

دين الله فى مصر المحروسة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
دين الله فى التراث المصرى القديم

تقدمة

فصول هذا الباب كلَّها مخصصة لدراسة دين الله ورسالاته فى مصر القديمة، ولن يتناول بالدراسة الأديان الوثنية فيها، ورموزها المتعددة.

يظنُّ الكثيرون أنَّ قدماء المصريين لم يكونوا يعبدون غير الأوثان منذ القدم، وأنَّهم لم يعرفوا غير الآلهة المتعدِّدة، ويضم معجم آلهة مصر القديمة مئات الآلهة من الذكور والإناث ذوات الأصول الحيوانية والنباتية والطبيعيَّة، ولكن يؤكِّد العالم الفرنسى روبير ـ جاك تيبو معلومات تناقض هذا الزعم، قال: "قطعًا، لم يتَّجه ملوك مصر وشعبها بتعبدهم نحو جمع من الآلهة الطوطمية (الوثنية كما يعتقد البعض) بل بالعكس، لقد عبدوا "إلهًا واحدًا" خالق الأرض، إنَّه إله فخرانى حِرَفِى، قام بتشكيل خلقه بواسطة الطين الصلصالى ومياه النيل، وبعد ذلك نفث فيه من روحه، ولا ريب أنَّ هذا هو المصدر الروحانى الَّذى ألهم واضعى سفر التكوين التوراتى، وأيضًا كتاب نشأة الكون لدى الإغريق.

وإلى هذا الإله الأولى أضيف آمون ـ رع (الشمس)، ونوت (السماء)، وجب (الأرض)، وحابى (مياه النيل) حتَّى تجمع معًا عناصر العالم الأربعة (الهواء والنيران والأرض والماء)، ومن بعدهم وُلِدَ كل من إيزيس، ونفتيس، وست، وأوزيريس، ثم بعد ذلك حورس وأنوبيس، وفى أثرهم تكوَّنت المملكة المصريَّة، وشعبها، وفراعنتها.

وعلى مدى ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام كانت الطقوس الدينية تكرر بلا كلل أو ملل هذا العمل الخلاَّق من خلال بعض الأساطير، وهكذا استطاع كل فرد مطهر ومطلع حديثا على الأسرار أنْ يعيش فترة تأسيس هذا البلد الَّذى أحبَّته الآلهة، وعملت على حمايته "[1].

الأنبياء فى مصر: يشير القرآن الكريم إلى حقيقتين هامتين:

الحقيقة الأولى: أنَّ القرآن الكريم لم يرد فيه إحصاء كامل لأنبياء الله ورسله؛ فهم كثير، ولا يعلم عددهم إلاَّ الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[4].

فالغرض من قصص الأنبياء العظة، وضرب المثل، وبشرى للمسلمين، ونذير للكافرين، وتثبيت لقلب الرسول ﷺ، وليس الهدف منها تقديمَ حَصْرٍ لأسمائهم، أو تأريخٍ لعصورهم[5].

والحقيقة الأخرى: أنَّ الله ﷻ أرسل رُسُلَهُ إلى كل أمَّة خلقها، على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾[8].

---

(١) موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية ٤٢.

(٢) سورة النساء ٤: ١٦٤.

(٣) سورة غافر ٤٠: ٧٨.

(٤) سورة الزخرف ٤٣: ٦.

(٥) راجع: الفن القصصى فى القرآن الكريم ١٤٩ ـ ٢١٠.

(٦) سورة فاطر ٣٥: ٢٤.

(٧) سورة النحل ١٦: ٣٦.

(٨) سورة يونس ١٠: ٤٧.

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1].

وذكر الإمام فخر الدين الرازى[2] فى التفسير الكبير، فى معنى قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[3] " أنَّ بعض القائلين بالتناسخ " قالوا: قد ثبت بهذا أنَّ أرواح جميع الحيوانات عارفة بربها، وعارفة بما يحصل لها من السعادة والشقاوة، وأنَّ الله تعالى أرسل إلى كل جنس منها رسولاً من جنسها.

واحتجُّوا عليه بأنَّه ثبت بهذه الآية أنَّ الدواب والطيور أمم، ثمَّ أنَّه تعالى قال: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[4]، وذلك تصريح بأنَّ لكلِّ طائفة من هذه الحيوانات رسولاً أرسله الله إليها، ثمَّ أكَّدوا ذلك بقصة الهدهد، وقصة النمل، وسائر القصص المذكورة فى القرآن[5].

وشعب مصر أقدم شعوب الأرض الَّتى عرفت الاستقرار وبناء الحضارة، وتضرب جذوره فى التاريخ إلى أقدم العصور المعروفة؛ فالحفريات الَّتى عُثِرَ عليها فى منطقة الفيوم عن أصول الإنسان الأولى ترجع إلى عصر الأوليجوسين قبل أكثر من ٣٠ مليون سنة مضت[6].

والحضارة المصرية كانت أولى الحضارات الَّتى عرفت استخلاص المعادن من خاماتها بالحرارة، وطوَّعتها للاستخدام الإنسانى منذ أكثر من٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد[7]، وكانت أولى الحضارات الَّتى اخترعت البرنز من خلط معدنى

---

(١) سورة الرعد ١٣: ٧.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين، ابن خطيب الرى، فخر الدين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) مفسّر، شاعر، واعظ، من المكثرين فى التأليف، أشهر كتبه مفاتيح الغيب.
انظر: الأعلام ٦ / ٣١٣، ومعجم المؤلفين ١١ / ٧٩.

(٣) سورة الأنعام ٦: ٣٨.

(٤) سورة فاطر ٣٥: ٢٤.

(٥) مفاتيح الغيب ٦ / ٢٩٩، وعنه ينقل التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون، انظر: مادة " تناسخ " ١ / ٥١٢.

(٦) السلالات البشرية ٤٨، وقصة الحضارة ١ / ١٦١.

(٧) السلالات البشرية ٩٤، وجاء فى موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية أنَّ تاريخ مصر يبدأ من سنة ٤٢٤١ مع أول ظهور نجم الشعرى اليمانية والفيضان، وهو مرجع لكل التاريخ المصرى.

النحاس والقصدير بنسبة ٩: ١ منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد[١]، وكان المصريون يعرفون نحت الخشب، "ويُعْتَقَدُ أنَّهم أول من حفروا الرسوم الصخرية "[٢]، وأول من بدءوا الاتجاه نحو الكتابة فى الألف الرابعة قبل الميلاد، فى مصر، وربَّما قبل ذلك بكثير وذكر عالم المصريَّات الفرنسى الشهير بيير مونتيه Montet P. فى كتابه "مصر الخالدة Eternel Egypte " أنَّ مصر عرفت الكتابة فى عصر النحاس، وتَتَبَّع تطور الكتابة المصرية من الهيروغليفية والهيراطيقية إلى الديموطيقية وكيف تحوَّلت إلى كتابة الطقوس الدينية والشئون الرسمية، فى صورة هجائية، وفى رأس شمرا الفينيقية اكْتُشِفَت رسائل تعود إلى أوائل الألف الثانية قبل الميلاد بخط مسمارى معدَّل عُرِفَ بالخط السينائى (نسبة إلى شبه جزيرة سيناء) الَّذى كان أساسا لحروف اللغة الفينيقية الاثنين والعشرين، والَّتى استعارها الإغريق ثم الرومان، وأصبحت أساس الحروف الأبجدية فى كل لغات العالم، ويؤكِّد الأستاذ كريمر ـ خبير الآثار السومرية ـ أنَّه كان للمصريين أدب مدوَّن ومتطوِّر جدًّا فى الألف الثالثة قبل الميلاد[٣]، وعثر العلماء فى سنة ١٩٠١م فى البدارى ـ قرية فى منتصف المسافة بين القاهرة والكرنك ـ على جثث دفنت قبل أربعين قرنًا قبل المسيح، ووجد فى أمعائها قشور من حبِّ الشعير غير المهضوم، ولمَّا كان الشعير لا ينبت برِّيًّا فى مصر فقد استدلَّ العلماء على أنَّ المصريين كانوا يعرفون زراعة الحبوب، وقد بدأ سكَّان وادى النيل من ذلك العهد السحيق أعمال الرىِّ، وقطعوا الأدغال، وجفَّفوا المستنقعات، وتغلَّبُوا على تماسيح النهر وأفراسه، ووضعوا أسس الحضارة على مهل؛ فاستبدلوا الأدوات المعدنيَّة بالأدوات الحجريَّة، وصنعوا القوارب، وطحنوا الحبوب، ونسجوا الكتَّان والبُسُط، وتزيَّنوا بالحُلِىّ، وتعطَّروا بالعطور، وكان لهم حلاَّقون، وحيوانات مستأنسة، وكانوا يحبُّون التصوير وبخاصَّة تصوير ما يصيدونه من الحيوانات، وكانوا يرسمون على الخزف

---

(١) السلالات البشرية ٩٥، ومصر فى العصر العتيق ٢٩.

(٢) مصر الفرعونية ١٨.

(٣) العرب واليهود فى التاريخ ٦٣٥، والسلالات البشرية ١٨١ ـ ١٨٣، وقصة الحضارة ١ / ١٨٤، وعلم اللغة والتطبيق اللغوى ٩ ـ ١١.

صور النساء، والحيوان، وأشكالا هندسيَّة، وينحتون آلات غاية فى الدِّقَّة والأناقة[1].

إنَّ شعبًا بهذه العراقة، وتاريخا بهذا الامتداد فى الزمان لا يمكن أنْ يتركه الله بلا رسل، ولا رسالة؛ لذلك يذكر الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ أنَّه لا يخامره أدنى شكَّ فى أنَّ الله ﷻ قد أرسل إلى تلك الأمَّة رُسُلاً وأنبياء[2].

ويشير كاتب سفر أَشَعْيَاء إلى وجود الرسالات السماوية فى مصر الفرعونية، فكتب تحت عنوان "مصر وآشور يعبدان الرب"، ولا ينسى طبعا أنْ يضم إليهما "إسرائيل" بلا مناسبة، قال:

١٨ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ فِى دِيَارِ مِصْرَ خَمْسُ مُدُنٍ تَنْطِقُ بِلُغَةِ كَنْعَانَ، وَتَحْلِفُ بِالْوَلاَءِ لِلرَّبِّ الْقَدِيرِ، وَتُدْعَى إِحْدَاهَا مَدِينَةَ الشَّمْسِ.١٩ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ يُقَامُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِى وَسَطِ دِيَارِ مِصْرَ، وَيَرْتَفِعُ نُصُبٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُومِهَا، ٢٠ فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً لِلرَّبِّ الْقَدِيرِ فِى دِيَارِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ يَسْتَغِيثُونَ بِالرَّبِّ مِنْ مُضَايِقِيهِمْ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مُخَلِّصاً وَمُدَافِعاً يُنْقِذُهُمْ. ٢١ فَيُعْلِنُ الرَّبُّ نَفْسَهُ لِلْمِصْرِيِّينَ. وَفِى ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْبُدُونَهُ وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَقَرَابِينَ وَيَنْذِرُونَ لِلرَّبِّ نُذُوراً وَيُوفُونَ بِهَا. ٢٢ وَيَضْرِبُ الرَّبُّ مِصْرَ؛ يَضْرِبُهَا وَيُبْرِئُهَا، فَيَرْجِعُ أَهْلُهَا تَائِبِينَ إِلَى الرَّبِّ فَيَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ وَيَشْفِيهِمْ.

٢٣ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ يَمْتَدُّ طَرِيقٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَشُّورَ، وَمِنْ أَشُّورَ إِلَى مِصْرَ، فَيَعْبُدُ الْمِصْرِيُّونَ وَالأَشُّورِيُّونَ الرَّبَّ مَعاً. ٢٤ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ إِسْرَائِيلُ ثَالِثَ ثَلاَثَةٍ مَعَ مِصْرَ وَأَشُّورَ، وَبَرَكَةً فِى وَسَطِ الأَرْضِ، ٢٥ فَيُبَارِكُهُمُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ قَائِلاً: «مُبَارَكٌ شَعْبِى مِصْرُ، وَصَنْعَةُ يَدِى أَشُّورُ، وَمِيرَاثِى إِسْرَائِيلُ»[3].

---

(١) قصة الحضارة ٢ / ٦٤.

(٢) مقال الوصايا المصرية العشر.

(٣) إِشَعْيَاء ١٩: ـ ٢٥.

وتذكر كتب التاريخ، والكتب الَّتى تهتم بدراسة الديانات المقارنة أنَّ من الأنبياء من أبناء مصر:

إدريس، والملك مينا، أو "نارمر"، وآنى، والملك إخناتون "أمنحتب الرابع"، وإبور، وموسى، وهارون، ويوشع، وإلياس، والخضر

ومن الأنبياء الَّذين حَلُّوا فى مصر زائرين أو أقاموا فيها إقامة طويلة:

إبراهيم، ويعقوب، ويوسف، والأسباط، وأيوب، وعيسى

ومن الأنبياء الَّذين لهم نسب وصهر فى مصر:

إبراهيم، وإسماعيل، ويوسف، وشعيب، وسليمان، وأيوب، ومحمد

ومن الأنبياء الَّذين كانت ممالكهم تابعة للإمبراطورية المصرية القديمة:

داود، وسليمان ومن الأنبياء الَّذين ماتوا فى مصر، أو دفنوا فى ترابها:

يعقوب، ويوسف، وإرميا، ويحيى

دين الله فى مصر: الأدلة على أثر الدين السماوى فى مصر كثيرة جدًّا، منها:

۞ أنَّ حضارة نمت، وازدهرت آلاف السنين لا بدَّ أنْ يكون قد ورد عليها عقيدة التوحيد بدعوة من رسول أمين؛ فالتوحيد والإيمان بالخالق هما اللذان بنيا حضارة مصر الَّتى خُلِّدت بخلود العقيدة.

۞ عرفت الحضارة المصرية من قبل عصر الأسرات البعث والنشور والحساب، وعرفت الجزاء والعقاب، والجنَّة والنار، والحياة الأخرى الباقية بعد هذه الحياة الفانية، كلُّ هذه القيم لا نتصور أنْ يهتدى إليها عقل بشرى فى تلك الأزمنة السحيقة؛ بل هى وحى من السماء، ومن اللافت للنظر أنَّ الميِّت إذا وُورِىَ التراب ـ ولا تكون المدافن فى مصر القديمة إلاَّ غرب النيل ـ جعلوا وجهه يتجه نحو الشرق نحو بيت الله، وهو ما يفعله المسلمون اليوم، وإنْ فسَّر بعض الغربيِّين هذا الوضع بأنَّه كان يتَّجه نحو الكوخ الَّذى تركه[1].

---

(١) مصر ٥٢.

۞ أكثر الفضائل والأخلاق المصرية فى آدابهم المدونة والوصايا هى ذاتها أخلاق دين الله، وما وصَّى بها أنبياء الله ذرياتهم وأتباعهم، وهى الدستور الأخلاقى الَّذى يجب أنْ يتَّبعه المؤمنون، وهى نفسها الأوامر الَّتى نجدها فى جميع الرسالات السماوية المنْزلة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

۞ إذا تذكَّرنا قول المولى ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2] فإنَّنا لا بُدَّ أنْ ندرك أنَّه كان يوجد بمصر دائما أتباع لرسل الله الَّذين وردوها منذ فجر التاريخ، وكانت لرسالاتهم جذور ثابتة، وآثار متبقِّية ومتمثِّلة فى هداية المؤمنين إلى عبادة خالقهم.

۞ الابتهالات الدينية ظاهرة مصرية أصيلة كانت تنشد فى الاحتفالات بالآلهة رع وآمون وإيزيس... والابتهال فى المعاجم يعنى الإخلاص فى الدعاء، وهو لون فنى ضارب بجذوره فى التراث المصرى القديم، وعلى جدران المعابد المصرية صوَّر المبدع المفن تفاصيل هذه الاحتفالات حيث نرى حاملى الأعلام، والعازفين، والمنشدين بمصاحبة مجموعات موسيقية كما نجد فى كثير من مخطوطات البردى نصوصا دينية تعبِّر عن ذلك الدعاء والابتهال إلى الإله الخاص بكل حقبة.

واصطبغ الابتهال بصبغة تناسب كل دين من الأديان الَّتى عرفتها أرض مصر، وباللغة الَّتى يقدِّسها المتعبِّدون بها، وتبلور فى العصر الإسلامى إلى المدائح النبوية والابتهالات الدينية[3].

ويقول بعض علماء الآثار: "ويمكن التأكيد على أنَّ الفكرة الدينية الَّتى كوَّنت العقائد المصرية خلال العهد الأنيوليتى كانت فى مستوى المشاهدات العلمية الَّتى ابتكرت التقويم الشمسى حوالى سنة ٤٢٤٥ ق.م.وفى مستوى النبوغ العملى

---

(١) سورة الجمعة ٦٢: ٢.

(٢) سورة النساء ٤: ٦٤.

(٣) من مقال لخالد المطعنى، جريدة الأهرام، العدد ٤٣٤٢٧ بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠٠٥م.

الَّذى نظَّم فى نفس الوقت كل الصناعات الضروريَّة للحضارة، لكنَّ عِلْمَ الدين الَّذى أنشأتـه هو مادَّة فيها من السَّعة وكثرة التفرُّع ما يتطلَّب دراسة شاملة فى فصل خاص، وسيكون عرض الديانة المصرية الَّتى تمتدُّ جذورها فيما قبل التاريخ صلة بينه وبين التاريخ الحقيقى لمصر "[1].

وبرغم ندرة الآثار الَّتى خلَّفتها الأسرتان الأولى والثانية إلاَّ أنَّ علماء التاريخ المصرى القديم قد استطاعوا الوصـول إلى معرفـة الأسس الحضارية الَّتى أرستها هاتان الأسرتان فى مصر، ويؤكِّدون ما يأتى:

❁ فى هذا العصر ظهرت أوَّل مدوَّنات فى العالم عن علم الطب، وعلم التجبير (علاج العظام).

❁ واحد من ملوك الأسرة الأولى هو الملك "زرْ" ألَّف بنفسه كتابا فى علم التشريح.

❁ وفى هذا العصر تمَّ تدوين النصوص الدينية المقدَّسة، وتسجيلها فى كتب مستقلَّة.

❁ وفى هذا العصر ظهرت الإرهاصات الأولى لعلم الهندسة، والعلوم الرياضيَّة.

❁ وفى هذا العصر تمَّ تنظيم الحكومة المركزيَّة، وتوطيد السلطة الإداريَّة فى طـول البلاد وعرضها، كما تمَّ تحصين حدود البلاد، وتقويتها، وضُمَّت بعض بلاد النوبة، وأُحْكِمَت السيطرة على شبه جزيرة سيناء باعتبارها أرضًا مصريَّة.

❁ وفى عهد الأسرة الأولى أُجْرِيَتْ أوَّل عمليَّة إحصاء للسكان فى تاريخ العالم، كما وضعت القواعد لإجراء عمليَّة الإحصاء كلَّ عامين[2].

شعب مصر أول الموحدين: بُعَيْد عيد الأضحى المبارك فى سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥م، وعقب العودة من بيت الله الحرام، وفى لقاء ضم الأساتذة العلماء:

---

(١) مصر ٥٢.

(٢) مصر والنيل ٩٧، ملخصًا عن كتاب " مشرق القوة " لجويس ميلتون ; Sunrise of Power , by Joyce Milton".

الأستاذ الدكتور سيِّد كريم ـ عالم المصريات المعروف.

والأستاذ الدكتور نديم السيَّار صاحب كتاب "المصريون أول الموحدين".

والأستاذ اللواء حسام سويلم صاحب كتاب " مصر هى ثمرة التوحيد ".

جرى حديث عن التوحيد والوصايا المصرية العشر، سجَّله الأستاذ عزت السعدنى، ونشرته جريدة الأهرام المصرية[1]، وهو حديث علمى، موثَّق بمصادره، والمصادر الَّتى أشار إليها العلماء المذكورون هى:

- المؤرخ بترى Petrie W. M. Flinders، وكتابه " ضمير الحضارة ".
- المؤرخ المصرى القديم مانيثون Manéthon له كتاب عن " تاريخ مصر "[2].
- المؤرخ الحكيم المصرى القديم أيبو ـ ور Ipw - wr[3].
- بعض كتب التفاسير، وكتب التاريخ العربى القديم، وكتب الفرق الدينية؛ وذكروا منها كتب: القفطى، والألوسى، والشهرستانى، والمسعودى، وابن حزم، والمقدسى، وابن العبرى، وابن أبى أصيبعة.
- الدكتور عزَّت الطهطاوى فى كتابه " النصرانية والإسلام ".

---

(١) الوصايا المصرية العشر.

(٢) مانيثون كاهن ومؤرخ مصرى عاش فى القرن الثالث قبل المسيح فى سيبينيتوس فى دلتا مصر، وكان يكتب باللغة اليونانية، ويتقن قراءة الكتابة الهيروغليفية، كتب تاريخ مصر فى كتاب عنوانه " مصريات Aegyptiaca " واستخلص بعض المؤرخين منه جزءًا يحوى قائمة بالملوك، وملاحظات عن العصور، وكتابه مفقود، ومنه نقول فى كتاب يوسيفوس فلافيوس فى رسالة ضد أبيون " contra Apionem "، وفى كتاب " المحاجة " ليوليوس الأفريقى Jules l´Africain (ت ٢١٧م)، وأوسيبيوس Eusèbe (ت ٣٢٧م)، وغيرهم من المؤرخين القدماء الَّذين رتَّبوا الموجز على طريقتهم. انظر: مصر ص ١٧٨، وانظر:

Guy Rachet ; La Bible " mythe et réalités " p ٣٨٥, et p. ٤٦٨ , et Nouveau Petit LAROUSSE , p ١٥٢١.

(٣) ذكر لى الدكتور محمد عبد الحليم نور الدين ـ عميد كلية الآثار بالفيوم ـ فى لقاء معه، فى طرابلس أنَّ أيبو ـ ور كان حكيما، وكان أحد قادة الثورة الاجتماعية بعد سقوط الدولة القديمة، ويؤكِّد الدكتور أحمد بدوى فى كتابه " موكب الشمس " أنَّه كان نبيًّا مرسلا راجع فهارس الجزأين الأول والثانى من الكتاب المذكور.

✪ العلامة الأثرى ماسبرو Maspéro فى " مذكراته "[1].

✪ كثير من علماء اليونان، منهم: أفلاطون Platôn الحكيم[2]، وبلوتارك Plutarque[3]، وغيرهما.

✪ مؤلفات المؤرخ الأثرى أحمد نجيب.

✪ الدكتور سليم حسن فى كتابه " ديانة التوحيد وعصر إخناتون ".

✪ مؤلفات الباحث إبراهيم غالى.

✪ المؤرخ كليمانت السكندرى **Clément d´Alexandrie**[4].

✪ موسوعة الديانات والعقائد.

ويمكن تلخيص هذا الحديث فى النقاط الآتية:

❋ شعب مصر أول شعب على وجه الأرض عبد الله الواحد الأحد، وأول مَنْ رَكَعَ، وسَجَدَ، وتَضَرَّع إلى الإله الواحد، وأول من بعث الله إليه الأنبياء، وأنْزَلَ

---

(١) ورد الاسم فى المقال " مايستون "، ولم أجد هذا الاسم بين علماء المصريات، ولعله تحريف لاسم العالم الكبير مسبيرو Maspéro، أو مارستون Marston ومن المعروف أنَّ مارستون هذا كان على رأس بعثة أثارية تابعة لجامعة ليفربول، وكانت تقوم بحفريات فى أريحا، وأنَّها اكتشفت آثارًا هامَّة تتعلَّق بتاريخ مصر فى الفترة الَّتى عاش فيها سيدنا موسى ﷺ. انظر: العرب واليهود فى التاريخ ٥٨٥.

(٢) أفلاطون (٤٢٩ ـ ٣٤٧ ق.م.) الفيلسوف الشهير، تلميذ سقراط، ومعلم أرسطو، وهو مؤلف كتب " المحاورات " الرائعة. انظر: Nouveau Petit LAROUSSE , p ١٦١٣.
وجاء فى موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية لروبير جاك تيبو أنَّ أفلاطون الفيلسوف الإغريقى العظيم أقام فى مصر ثلاث سنوات، التقى فيها الكهنة المصريين، وعلَّموه أسرار الكون.

(٣) بلوتارك (٤٥ ـ ١٢٥ ق.م.) مؤرخ، ومفكِّر يونانى، تعلم فى أثينا، وارتحل إلى آسيا ومصر، ولمَّا رجع إلى وطنه أصبح رئيسا لمجلس الجمهورية اليونانية، ومن مؤلفاته: حياة البشر، وعلم الأخلاق. انظر: Nouveau Petit LAROUSSE , p ١٦١٤.

(٤) كليمانت السكندرى، قديس ومؤلف مسيحى، توفى نحو سنة ٢٢٠م، شهر باعترافاته Les Stromates ذائعة الصيت. انظر: Guy Rachet ; op cit , p ١٢٩ , et Nouveau Petit LAROUSSE , p ١٢٨٩.

معهم الكتب، وأوَّل مَنْ كُلِّف بحمل الرسالة إلى شعوب أخرى، وارتبط تاريخه بجميع الأنبياء أصحاب الرسالات الكبرى.

سيدنا إدريس عليه السلام هو ثالث الأنبياء المعروفين بعد سيدنا آدم عليه السلام وشيث عليه السلام، وهو مصرى الأصل والمولد والنشأة والدعوة.

مرَّت الدعوات التوحيدية الكبرى فى مصر فى أربع مراحل سابقة على رسالة سيدنا موسى عليه السلام، وهذه المراحل هى:

✪ المرحلة الأولى: خرجت من مدينة أون ـ عين شمس الحالية ـ منذ ١٢٥٠٠ سنة، وكانت مدينة أون مركزا دينيا لعب دورا كبيرا فى الأزمنة القديمة وإلى علماء الفلك فيها يرجع الفضل فى وضع التقويم المصرى ٤٢٤٥ ـ ٤٢٤٢ ق.م.[1]، وقد حوت دعوة التوحيد فيها من التعاليم والتشريع فى بناء الفرد والمجتمع ما يؤكِّد أنها رسالة سماوية، سبقت العقل البشرى، واستمرت ألفى سنة.

✪ المرحلة الثانية: ثورة التوحيد على يد الملك مينا Menes " نارمر ".

✪ المرحلة الثالثة: ثورة التوحيد فى عصر بناة الأهرامات، وكان رمز الإله الواحد " رع " قرص الشمس.

✪ المرحلة الرابعة: رسالة إخناتون Ikhnaton فى الأسرة الثانية عشرة، وهى الرسالة الَّتى خرج بها سيِّدنا موسى عليه السلام حاملا رسالة التوراة.

الفضائل والأخلاق، البعث والنشور، الحساب والجزاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار، والحياة الباقية فى الآخرة.

الوصايا المصرية فى كتاب الموتى ومطابقتها للوصايا العشر الموسوية، وليس لدينا حتَّى الآن نص يمكن الرجوع إليه لمعرفة تلك الوصايا، ولكن عرفناها من طريق أخرى، من كتاب ينسب أيضا للنبى إدريس ـ وينسب أيضا للنبى آنى، أو هو الَّذى كتبه عن سيِّدنا إدريس عليه السلام ـ وهو المعروف باسم " كتاب الموتى " الَّذى تذكر عنه موسوعة الديانات والعقائد أنَّه يعتبر أوَّل كتاب فى تاريخ البشرية فيه ذكر للعالم

---

(١) مصر ٥١.

الآخر والحساب، وهو كتاب يقدِّسه المصريُّون على عهد الفراعنة، ويعتقدون فيه أنَّه من الكتب المنَزَّلة[1].

والرَّاجح عندى أنَّه واحد من الكتب السماويَّة المنَزَّلة من عند الله ﷻ، إذا تجاوزنا عمَّا قد يكون فيه من تحريف، أو تبديل، وهما ظاهرتان لم يسلم منهما كتاب سماوى، باستثناء القرآن الكريم؛ فهو الكتاب الوحيد الَّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وقد تعهَّد رب العالمين بحفظه، وبالتالى حفظ لغته، وجَعَلَه مُهَيْمِنًا على غيره من الكتب، ومصححا لما حرَّفه وبدَّله الأحبار والرهبان فيما سمَّوه كتبا مقدَّسة.

وعدد الكتب السماويَّة عند علماء الأديان ١٠٤ كتاب، على الأرجح، وإنْ كان المشهور منها خمسة كتب فقط؛ لأنَّها ذكرت فى القرآن الكريم[2]، وربَّما لأنَّها كانت آخر الكتب نزولا، وأكثرها أتباعا.

وفى كتاب الموتى فصل بعنوان " إنكار الخطايا " وفيه يعلن الميِّت فى يوم الحساب براءته من الآثام والخطايا، والراجح أنَّ التنصُّل من هذه الآثام يعنى أنَّ فى تعاليم دينهم أوامرَ ووصايا تنهاهم عن فعل ذلك؛ فإذا قال الميِّت مثلاً: لم أقتل، فمعنى ذلك أنَّ فى كتبهم المقدَّسة تبليغ إلهى بالنهى عن القتل..

وسوف نكتشف أنَّ هذه التعاليم والوصايا المصرية الإدريسية كما هى مسجَّلة فى كتاب الموتى تشبه تماما الوصايا العشر الَّتى أنزلها الله ﷻ على سيِّدنا موسى عليه السلام، وقد بيَّن الباحث إبراهيم غالى أوجه التشابه بين الوصايا الإدريسية والوصايا الموسوية المطبوعة بطابع مصرى.

والعجيب فى أمر الباحثين فى أمور الدين ـ عربا وغربيين، مسلمين ومسيحيين ويهود ـ أنَّهم لا يتركون فرصة تمرُّ إلاَّ ويحاولون استغلالها للربط بين سيِّدنا موسى النبى المصرى عليه السلام وبنى إسرائيل، وقد كثرت الدراسات الَّتى تثبت بالأدلة الدينية

---

(١) الوصايا المصرية العشر.

(٢) الإسلام هو الدين الحق، الأستاذ الدكتور ناوكى كومورو، ترجمة ميسرة عبد الراضى عفيفى، مقال بجريدة الشعب الإلكترونية، بتاريخ ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٥م.

القاطعة والأخبار التاريخية الموثَّقة أنَّه لا توجد صلة تربط بينهما إطلاقا لا من قريب ولا من بعيد، وكل محاولة من محاولات الربط بينهما تبوء دائما بالفشل، بل وتدعو إلى السخرية، وسوف يأتى تفصيل ذلك فيما بعد، ويجب ألاَّ ننسى أنَّ العبرانيين، وبنى إسرائيل، وقوم موسى، واليهود أربعة أقوام مختلفة، لا يربط بينها أصل، ولا وطن، ولا تاريخ، ولا دين[1].

وقد ربط الباحث بين وصايا موسى ﷺ والميثاق الَّذى جاء ذكره فى القرآن الكريم عهـدًا بين الله وأنبيائـه من بنى إسرائيل من قبل موسى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

وفى الجدول الآتى مقارنة بين النصين:

نص كتاب الموتى	نص الوصية الموسوية
إنِّى لم أقتل	لا تقتل
إنِّى لم أرتكب الزنا	لا تزن
إنِّى لم أسرق	لا تسرق
إنِّى لم أشهد شهادة زور	لا تشهد على قريبك شهادة زور
ولم أشته زوجة قريب أو صديق	لا تشته امرأة قريبك
إنِّى لم أكذب	لا تكذب
إنِّى لم أغتصب ولم أسلب	لا تغتصب قريبك ولا تسلب
إنِّى لم أطفف الميزان ولم أغش...	لا ترتكب جورًا فى الوزن ولا فى الكيل

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٧٢ وما بعدها.
(٢) سورة المائدة ٥: ١٢.

ومن خلال المقارنة السَّابقة لا أرى أيَّة علاقة بين الوصايا العشر ـ كما وردت فى كتاب الموتى وفى الأسفار اليهودية ـ وهذا الميثاق، ونظرة فيما تضمَّنته الوصايا من معان تؤكِّد ما قلت[1].

تأكَّد لنا من دراستنا السابقة أنَّ الله ﷻ أرسل رسلاً وأنبياء فى مصر القديمة، وأنَّ أكثر الأنبياء المعروفين تربطهم بمصر علاقة وثيقة كان لها أكبر الأثر فى ذيوع دعوتهم التوحيديَّة ونشرها، وتلك العلائق هى:

إمَّا المولد والنشأة.

وإمَّا الإقامة أو الزيارة.

وإمَّا الصهر والنسب.

وإمَّا ضمَّ ترابها الطيِّب أجسامهم الطاهرة.

وإمَّا حكموا إمارت خاضعة للإمبراطوريَّة المصرية القديمة.

وسوف أقدِّم كلمة موجزة عن كل نبى من هؤلاء الأنبياء الَّذين ارتبطت رسالاتهم بمصر، وكما ذكرت فى مقدِّمة الكتاب أنَّ الغرض الرئيس من هذه الدراسة هو معالجة القضايا الفكرية الهامة الَّتى هى محلَّ خلاف بين المؤمنين والملحدين، ولم أكن أخطط لكتابة تاريخ شامل لكل الأنبياء، أو لبعضهم وإنَّما هى خواطر شغلت فكرى، وهى آراء أراها تشيع فى النفس الاطمئنان بالعقيدة الدينيَّة النقيَّة الَّتى بلَّغها أنبياء الله، ونزلت بها كتبه، وأحبُّ أنْ ألفت نظر القارئ الكريم إلى بعض الأمور، منها:

أولاً: أنَّنى استفدت كثيرا فى هذا الباب من المعلومات الَّتى جاءت فى مصدرين، كان لهما أكبر الفضل فى إيجاد الحافز لدىَّ للبحث فى هذا الموضوع؛ فعمدت إلى توثيق ما جاء فيهما من معلومات، واستكمال ما غفلا عنه، وهذان المصدران هما:

✿ مقال الوصايا العشر المنشور فى جريدة الأهرام المصرية.

---

(١) انظر: الوصايا المصرية العشر، وانظر: الشريعة الخطيَّة، سفر تثنية الاشتراع ٥ الوصايا العشر.

۞ مقال للباحثة الليبية الدكتورة نعيمة عبد السلام الساحلى بعنوان "التراث الدينى فى التاريخ المصرى القديم" وهو بحث قيِّم أطلعتنى عليه الباحثة، ولم ينشر بعد.

ثانيًا: كان وكدى فى سيرة الأنبياء أنْ أثبت صلتهم بمصر، وتراثها الدينى والثقافى.

ثالثًا: أشير إلى دور مصر وشعبها العظيم فى تبليغ رسالات الله، وحماية عقيدتها، والدفاع عن دينها، ويكفى مصر فخرًا أنَّه لم ينجم فى أرضها أىٌّ من النحل المنحرفة، أو البدع الزائغة، ولم تذع شرورها وضلالاتها بين أفراد شعبها الَّذى ظلَّ على طريق الفئة الناجية، وسنَّة النبى الكريم.